مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index
مجلة علمية محكمة نصف سنوية

الفنادق عند العرب المسلمين

د. الهادي الشتيوي المقطوف *
كلية التربية الزاوية – جامعة الزأوية ، ليبيا
رقم الأوركيد/ 0009-0008-2860-4080
Email : a.almagtouf@zu.ed.ly
تاريخ الارسال2026/7/13م تاريخ القبول 2026/8/15م

Hotels among Arab Muslims

Dr. Alhadi Al-Shtiwi Al-Maqtuf
University Of Zawia

Abstract: -
This research generally focuses primarily on understanding the concept of Hotels and caravanserais, both linguistically and technically, tracing the origin of term through different eras. Hospitality among Arabs has been present since ancient times, and with the advent of Islam, its value was strengthened throughout the Arab and Islamic world.

الملخص :-
هدا البحث بصفة عامة يركز بصورة أولية على معرفة مفهوم الفنادق والخانات ، ومن حيت الاسم اللغوي والاصطلاحي ،مع تتبع أصل التسمية عبر العصور المختلفة، والضيافة عند العرب كانت حاضرة مند القدم ، ومع ظهور الإسلام تعززت قيمة الضيافة في كل ربوع البلاد العربية والإسلامية على السواء ، غير أنها تطورت وازداد تطورها حتى اتخذت منحا جديدا زادها تألقا وازدهارا مند بداية العصر الأموي والعباسي ومصر وبلاد الشام والأندلس، وفي كل هده العصور ازدهرت الفنادق والخانات ، حيت أصبحت تضم غرفا للإقامة ومخازن للبضائع وإسطبلات

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2026. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

للدواب ، وتولي إدارتها مسئولون يشرفون على شؤون النزلاء وتلبية رغباتهم وهدا ما تميزت به الفنادق والخانات في معظم مدن البلاد العربية والإسلامية . وقد أشار العديد من الجغرافيين والرحالة المسلمين إلى هده الفنادق وكثرتها وتوزعها بالقرب من الأسواق والموانئ البحرية والنهرية ، بما يحقق سهولة الانتقال للأفراد من تجار وطلاب ، كذلك الحال للسلع والبضائع المختلفة.

وكان للفنادق والخانات عدة وظائف ومهام أسهمت كلها في تقديم الخدمات لمرتاديها من مسافرين وتجار وطلاب ، وحافظت علي الأمانات والأموال ، وقدمت الإيواء والمبيت والإطعام ،علاوة علي مساهمتها في ازدياد النشاط الاقتصادي ، من حيث وجود إيرادات مالية ضخمه وجهت لتنقيد مشاريع اجتماعية تكافلية لمعظم فئات المجتمع العربي .

المقدمة :

عرفت الحضارة الإسلامية نظام الفنادق منذ أيام الإسلام الأولى؛ فقد أشار القرآن الكريم إلى جواز دخول الأماكن العامة ومن جملتها الفنادق - دلالة على واقعية الإسلام واجتماعيته؛ فقال – تعالى- : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ**﴾ [1] أوقد علق الأمام الطبري على هذه الآية الكريمة بقوله: "ليس عليكم أيها الناس إثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان، ثم اختلفوا في ذلك، أي البيوت المقصودة ؟ فقال بعضهم: يقصد بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون، وإنما بنيت لمارة الطريق والسابلة، أووا إليها، ويؤووا إليها أمتعتهم"

اشتهرت البلاد العربية والإسلامية بإنشاء وعمارة الخانات التجارية منذ بداية العصور الإسلامية الأولى وبالتحديد خلال العصر الأموي على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان ، ثم تطور عمرانها وانتشرت بنياتها في العديد من البلاد العربية والإسلامية خلال العصر العثماني، ومنها مدينة أربيل الموصل ومدن أخرى في العراق خاصة مدينة بغداد والنجف.- اشتهرت الخانات منذ نشوئها بمسميات عدة، منها الكار والخانة ،والوكالة والسماسرة، والسوق والنزل ، والتي تقوم مقام الفنادق في الوقت الحاضر إن وجود الفنادق والخانات منذ فترة مبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، ليدلل على أهمية البعد الاجتماعي الذي راعته هذه الحضارة في كل تطبيقاتها المادية والمعنوية، بل أضافت هذه الحضارة بعدا تكافلا آخر لم تعرفه أي حضارة أخرى؛ حيث جعلت كثيرا من هذه الفنادق واللا متاحة بصورة مجانية .لجميع

الأطياف المجتمعية والإنسانية، فيمكث فيها الإنسان ما شاء الله لـه أن يمكث، دون أن يعكر عليه أحد صفو حياتـه، أو ينص عليـه مهمتـه؛ سواء كـان تـاجرا، أم طالبـا، أم مسافرا ... ولا ريب أن هذه الصورة الباهرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، لمـا يؤكـد لدينا المرة تلو الأخرى عظم العطاء الإنساني الذي قدمته هذه الحضارة الخالدة!

مفهوم الفندق واصل التسمية :

إيعد الفندق من المؤسسات التي ارتبطت بالحياة الاقتصـادية والاجتماعيـة فـي الحضارة العربية الإسلامية ، وقد اكتسب أهميـة خاصـة مـع اتسـاع الدولـة الإسـلامية وازدهار التجارة الداخلية والخارجية . وتشير الدراسات التاريخية إلـى ان كلمـة فنـدق ذات أصل يونـاني صـرف وانتقلـت إلـى العربيـة عبـر اللغـات الشـرقية ، واسـتخدمت للدلالة على المكان الذي ينزل فيه الغرباء والمسافرون والتجار ، حيت يجدون المأوي والطعام ومكانا لحفظ بضائعهم ودوابهـم المختلفـة . ولقد اشـتهر العـرب قبـل الإسـلام بالكرم وإكرام الضيف ، وكانت الضيافة من أبـرز القيم الاجتماعيـة إذا كـان المسـافر يجد المأوي فـي بيـوت زعمـاء القبائـل ووجهائهـا ورغـم عـدم وجـود فنـادق بـالمفهوم المؤسسي، فأن الأسواق الموسمية الكبرى مثل سوق عكاظ ومجنة ودي المجـاز كانـت تستقبل أعدادا كبيرة من التجـار والزائـرين ، ممـا أوجـد أشـكالا أوليـة لتنظـيم الإقامـة والخدمات.

مع ظهور الإسلام تعززت قيمة الضيافة، وحثت النصوص الشرعية علي اكرام الضيف والعناية بالمسافر ، ومع اتساع الدولة الإسلامية ازدادت الحاجة إلى إنشاء مرافق لخدمة التجار والطلاب والحجاج والرحالة

يقول المؤرخون أن لفظة خان كلمة بابلية، وهناك من يقول أنها كلمة فارسية، وربما اشتقت من كلمة (خان) وتعني لقب السلطان عند الأتراك ، وآخـرين يقولـون أن هذه الكلمة مأخوذة من اللفظة التركية (كاروان سراى) وتعني النزول والفنـدق و كلمـة خان بمعناها تعني منزل المسافرين ، ورأى البعض الآخر مـن البـاحثين أنهـا تحريـف لكلمة (حانوت) الآرامية المشتقة من كلمة حنة العبرية ، كما تدل على المتجر والمكان الخاص بالتجار أي محل إقامتهم منزل المسافرين والقوافـل وتجـارتهم ، وتعنـي أيضـا فندق أو الوكالة أو القيصرية. للمسافرين وتجـاراتهم، و يـذكر المقريـزي " أن الوكالـة في معناها كالفنادق والخانات[2]

وتشير اغلب النصوص التـي ميـزت العصـور الوسـطي إلـى تعـدد التسـميات والمفاهيم التي تطلق على المرافق المعدة أصلا لاستقبال المسافرين من الناس في بـلاد

العالم الإسلامي ،وتعتبر تسمية (بندوكيون) اليونانية ومعناها قبول كل الوافدين أقدم التسميات للفندق ، والتي كانت منتشرة على كل الطرق الرئيسية التي تربط المدن ببعضها البعض ، وتشير المصادر القديمة ان الكلمة قد تم تداولها في معظم اللغات لا سيما في القرن الأول الميلادي،[3] والفنادق برزت بصورة جلية وواضحة في البلاد العربية والإسلامية منذ القرنين الثاني والثالث الهجري الثامن والتاسع الميلادي وانتشرت بصورة كبيرة جدا فيها نظرا لحاجة الناس لها فأصبحت نوعا من التمدن الدي ميز المدن العربية والإسلامية في تلك الفترة التاريخية ، وقد واكب انتشار الفنادق انتشار الحمامات والمساجد والمنازل والمستشفيات والأسواق وشبكة الطرقات والمرافق الإدارية ، ولقد عرف أبن منظور الفندق قائلا : والفندق بلغة الشام خان من هده الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن [4]

إن هذا النص يضعنا أمام الخان لا الفندق، وإن بدا أن مصطلح الفندق ذي الأصل اليوناني أو اللاتيني عرف أيام الأيوبيين، فقد أظهرت كلمة الفندق لأول مرة في نص منقوش فوق باب مدخل فندق العروس الذي شيده الناصر صلاح الدين سنة 577ه 181 إما بالقرب من بلدة القطنية على طريق القوافل بين حمص ودمشق"[(5)] ، وفندق العروس هذا – كما يبدو النا - اقرب إلى فنادق اليوم منه إلى الخانات، اذا جاز لنا أن نستنتج من اسمه انه استضاف العرائس، وإن كنا لا نملك حجة قاطعة ندافع بها عن هذا الرأي.

والفندق له أصل لغوي وأصل اصطلاحي :

فالفنادق جمع فندق وهي ، حسب الأصمعي كلمة معربة دخيلة على اللغة العربية دون أن يذكر أصلها[(6)]، أما طوبيا العنبسي فقد قال أن الكلمة يونانية مأخوذة من لفظ Pandochai أو Pandokeion حسب لاروس[(7)]، ويتركب هذا اللفظ من شطرين Pan ويعني: كل و Dochanai ويعني: يقبل أو يأخذ فيكون المعنى: يقبل ويحتضن، وهنا نقترب من المعنى الاصطلاحي المقصود وهو منزل أو نزل ، وهو ما ينطبق بدقة علي الوظيفة التي يؤديها المبني في الواقع ، فكونه مخصصا للمسافرين فأنه يحتضنهم ويستقبلهم بكل أمتعتهم ودوابهم ، ويسمح لهم ببعض الاستقرار والراحة إلى حين قضاء حاجاتهم ومصالحهم . وحسب ما نستنتجه من المصادر اللغوية العربية فإن ظهور هذه المؤسسة عند العرب وفي محيطهم التجاري، أي لدى الشعوب التي كانوا يتعاملون معها، ضارب في القدم .وهذا ما يفسر وجود الكلمة أو اللفظة في أنه: "سمع أعرابيا من قضاعة يقول فندق (4)ه (208 - 144)وهى مأخوذة من اللغة

العربية منذ وقت مبكر؛ فيروي القراء إنها كانت مستعملة في بداية العصر الإسلامي[8] .

ولكن يبقى أن نتلمس الفروق ما بين الخان والقيسارية، وهذه الأخيرة اقرب إلى ان تكون سوقة، مع وجوه شبه في بعض التفاصيل المعمارية والوظائف بينها وبين الخان. فالدكتور عاصم محمد مرزوق يعرف القيسارية بأنها "عبارة عن سوق تجاري يتكون من عدة عناصر معمارية تنحصر في فناء مستطيل يتم إنزال البضائع فيه ويتوسط مسجد صغير لتمكين التجار من إقامة شعائرهم الدينية، وفي جوانب هذا الفناء تجد مكانا لتخزين البضائع المختلفة، يتكون كل منها من غرفة مستطيلة يغطيها قبو نصف اسطواني، وقد يكون البناء من طابق واحد أو طابقين، وغالبا ما كانت أبوابها ذات مصراع خشبي واحد تعلوه نافذة صغيرة لإضاءة الحاصل وتهويته عند غلق الباب، كذلك كان كل حانوت من حوانيت عرض البضائع وبيعها عبارة عن غرفة مستطيلة تفتح على الشارع الذي يسلكه الناس[9].

إن مقارنة هذا الوصف بالوصف الذي سنورده لاحقا للخان، يظهر اختلافا جوهريا بين مؤسستين: قيسارية اقرب إلى السوق وخان اقرب إلى الفندق. وفي الإمكان حصر اتفاق الخان والقيسارية في الوجوه الآتية، أنهما: لتخزين البضائع، ولإقامة التجار، وأنهما وجدا في المدن، وكان كل منهما من طبقة واحدة أو طبقتين، أما اختلافهما فيمكن حصره في ان القيسارية مجموعة عناصر معمارية فيما الخان عنصر معماري واحد، وأن القيسارية سوق أو مخازن مفتوحة على سوق، فيما الخان مخازن ومحترفات، أي أن وظيفته تعدت التجارة إلى التصنيع، وأن الخان كان لإيواء الدواب علاوة على إقامة التجار والحرفيين، وأنه كان في المدن كما كان على طرق القوافل وهو ما لم تكنه القيسارية التي وجدت في المدن فحسب.

ولنا في المصادر والمراجع القريبة شواهد على ان الخان غير القيسارية، فهي غالبا ما تعطف القيسارية على الخان بما يعني وجودهما مختلفين في وقت واحد، ومن ذلك قول الأب حنانيا المنير في حديثه عن انجازات الشهابيين: "أقام الأمير ملحم خان الملاحة، والأمير يوسف قيسارية الصاغة، الخ... [10] ، أوقفوه في حوادث سنة 1792: "حدث حريق في دمشق الشام ... فاحترق به كثير من الخانات[11] ".

غير أن صلاح الدين المنجد يخلط في الأربعينات من القرن الماضي بين الخان والقيسارية، في حاشية على كتاب "الباشات والقضاة في دمشق" لمحمد بن جمعة المقار، فيقول أن والي دمشق اسعد باشا بن إسماعيل باشا الذي توفي سنة

1163هـ "عمر بدمشق قيسارية" [12] .

مع ذلك فأكثر المراجع يفرق بين المصطلحين، ولكن يخطئ الدكتور عصام شبارو في تعيين تاريخ الخان عند العرب، فالخان عنده "يطلق عند الأتراك على الفندق وعنهم أخذه العرب"[13] فيما يعتقد ان الخان ثمرة احتكاك بين العرب وأمم عدة منذ ما قبل الإسلام. إلا أننا نعثر - ما دمنا في حديث اللغة - على مصطلح "الخانجي" في بيروت ايام العثمانيين، وهي إضافة اللاحقة التركية "جي" إلى الخان، وكان النزيل "يدفع للخانجي أجرة المقيم وأجرة دوابه" [14]

الخانات والفنادق عند العباسيين:

وممن اشتهر ببناء الفنادق المجانية الأمير نور الدين محمود رحمه الله؛ فقد نقل أبو شامة في الروضتين) عن ابن الأثير، أن نور الدين محمود "بنى الخانات في الطرق، فأمن الناس، وحُفظت أموالهم، وباتوا في الشتاء في كَنٍّ [15] من البرد والمطر"[16].

ومما يلفت الانتباه أن بعض النساء قد اهتممن بتشييد الفنادق والخانات، رغبة منهن في طلب الأجر والثواب من الله تعالى؛ فقد بنت عصمة الدين بنت معين الدين أنر زوجة صلاح الدين المتوفاة عام (581ه) فندق عصمة الدين في مدينة دمشق[17]، كما بنت امرأة أخرى لم يذكر ابن عساكر اسمها - فندق ابن العازة في دمشق أيضا.

ولم تكن الفنادق متمركزة في عواصم الأقاليم الكبرى فقط؛ إذ وجدت في كثير من القرى والأقاليم النائية؛ فقد حصر رسام فرنسي يدعى سيمون عدد الفنادق الموجودة في مدينة أصفهان -وكان قد زارها في عام (1084ه)- فوجدها 1600 فندق[18].

فكانت تحميهم من حر الصيف وبرودة الشتاء ، فقد ذكر سعدان بن يزيد وهو من علماء القرن الثالث الهجري- أنه التجأ إلى أحد الخانات في ليلة مطيرة فيها رعد وبرق وذلك في عام (262ه)، فوجد الخان قد شغلت جميع غرفه وأسرته؛ نتيجة البرد الشديد[19].

الخانات والفنادق عند العباسيين :

وممن اشتهر ببناء الفنادق المجانية الأمير نور الدين محمود رحمه الله؛ فقد نقل أبو شامة في الروضتين) عن ابن الأثير، أن نور الدين محمود "بنى الخانات في الطرق، فأين الناس، وحفظت أموالهم، وباتوا في الشتاء في كَنٍّ[20] من البرد والمطر"[21].

وثمة إشارات مبكرة إلى اتجاه الخانات نحو التخصص في القرن الرابع. فابن الخطيب يقول: انه "كانت توجد خانات أو مخازن كبري، كدار البطيخ بالبصرة، حيث كانت ترد جميع أصناف الفاكهة[22] خبر ورود رسول الروم على الخليفة المقتدر سنة 305ه، وإدخاله "من دهليز باب العامة الأعظم إلى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام"، ولعل هذا الخان كان جزءا من دار الخلافة، الأمر الذي يفسر قيام أروقته على أساطين رخام.

ومما يلفت الانتباه أن بعض النساء قد اهتممن بتشييد الفنادق والخانات، رغبة منهن في طلب الأجر والثواب من الله تعالى؛ فقد بنت عصمة الدين بنت معين الدين أنر زوجة صلاح الدين المتوفاة عام (581ه) فندق عصمة الدين في مدينة دمشق[23]، كما بنت امرأة أخرى لم يذكر ابن عساكر اسمها - فندق ابن العازة في دمشق أيضا[24]

ولم تكن الفنادق متمركزة في عواصم الأقاليم الكبرى فقط؛ إذ وجدت في كثير من القرى والأقاليم النائية؛ فقد حصر رسام فرنسي يدعى سيمون عدد الفنادق الموجودة في مدينة أصفهان وكان قد زارها في عام (1084) - فوجدها 1600 فندقا[25].

الخانات والفنادق في مصر والشام :

وقد انتشرت الخانات والفنادق في عهد الدولة المملوكية بصورة واسعة جدا، لكن الجديد الذي أضافته هذه الدولة في مسار الحضارة الإسلامية، أنها أقامت فنادق خاصة للجاليات الصغيرة الموجودة في مصر والشام من التجار والرحالة الغربيين، فقد ذكر المقريزي أن القبارصة الذين هاجموا مدينة الإسكندرية في عام (783ه)، قد أحرقوا كثيرا من الدور والحوانيت والفنادق، وقال : "إن الملاعين أحرقوا فندق الكيتلانيين، وفندق الجنويين، وفندق الموزة، وفندق الموسليين"[26]. وهذه الفنادق التي ذكرها المقريزي كانت مخصصة للتجار الأوربيين والإيطاليين؛ مثل تجار مدينة جنوة الإيطالية؛ مما يدلل على اهتمام الحضارة الإسلامية بغير المسلمين من تجار أوربا في فترة قرونهم الوسطى. بل حرصت الدولة على أن تخصص لأصحاب كل مهنة فندقا خاصاً بهم؛ فقد كان هناك فندق لتجار الزيت الشاميين، وهو فندق طرنطاي في مدينة القاهرة[27].

أهم الفنادق في مصر:

1- فنادق البنادقة: كان التجار جمهورية البندقية فندقان في مدينة الإسكندرية ، وفندق في كل من دمشق وبيروت وطرابلس وحلب واللاذقية .

2- فنادق البيازنة: كان لتجار جمهورية بيزا فندق في الإسكندرية وفندق آخر في مدينة القاهرة .
3- فنادق الجنوية: كان لتجار جمهورية جنوة فندق في الإسكندرية وفندق في بيروت وفندق ثالث في دمشق[28] . وكذلك كان هناك فندق للمغاربة وآخر للتتار[29].

أما في الشام فقد أقام المماليك العديد من الخانات والفنادق في بلاد الشام خدمة للتجار و المسافرين خصوصا وان بلاد الشام تعد خزانة الأموال ومعقل التجار بالنسبة للسلاطين المماليك فعملوا على الاهتمام بها[30]. وكان يطلق عليها (فنادق مبيت القوافل) حيث يستريح فيها التجار منها خان (العقبة)، وخان الكرك[31] . ففي عام (1263م) أمر السلطان بيبرس بإنشاء خان بمدينة القدس ، وجعله سبيلا ، وفوض عمارته إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار وبنى فيه طاحونة وفرنا ، وجعل النظر فيه للأمير جمال الدين نفسه ، و أوقف عليه أوقافا كثيرة ، وجعل هذه الأوقاف يصرف ريعها " في خبز وإصلاح نعال من يرد اليه من المسافرين المشاة"[32].

كذلك بنى السلطان قلاوون عدة خانات منها خان الحسا وخان القطارنة وخان قباد. وقد أنشئت الخدمة التجارة النشطة عبر بلاد الشام وخدمة قوافل الحج الشامي[33]. بني سيف الدين بكتمر ألحسامي (ت 729ه) والذي كان يتولى نيابة غزة وبعدها نيابة صفد جملة أوقاف في بلاد الشام منها قيسارية التجار في عجلون شمال البحر الميت[34].

وعندما ازداد نطاق التجارة في شرق البحر المتوسط أواخر العصور الوسطى أصبحت الفنادق والخانات والقيساريات والوكالات تمارس فيها الحرية اكبر من قبل ، وصارت كأنها قطعة من الموطن الأصلي بالنسبة للتجار الأجانب، ومن الواضح أن المماليك كانوا يفرقون بين التجارة والدين وذلك خدمة للحركة التجارية وانتعاشها . أنها كانت مراكز مهمة للتخزين والبيع والشراء ولنزول التجار مع تجارتهم ودوابهم ، فلهذا انتشرت بشكل واسع في مصر وبلاد الشام وعلى طول شواطئ البحر الأحمر[35].

أن الاهتمام البالغ في إنشاء الفنادق والخانات والقيساريات من الدولة أي المماليك أو حتى من قبل التجار أنفسهم أو الأجانب بعد اخذ الإذن من الحكومة ، يدل على مدى إدراك المماليك وخصوصا السلاطين منهم ، لما للفنادق والقيساريات والخانات والوكالات من أهمية في قيام تجارة قوية واسعة مزدهرة تسهم في تقوية

الدولة نفسها؛ لأنها تزيد من مواردها الاقتصادية وتوفر المال اللازم للأنفاق على الجيش والإدارة وما يمثله الاقتصاد من أهمية للدولة القوية.

الخانات والفنادق في الأندلس :

وكان لبلاد الأندلس دورا هاما في انتشار وكثرة الفنادق نضرا لازدهار الحركة التجارية فيها ، حتى عدت مقصدا للتجار والطلاب ، لذلك اشتهرت بعض مدن الأندلس بفنادقها الكثيرة والعامرة؛ حيث ذكر الحميري في كتابه "صفة جزيرة الأندلس" أن مدينة ألمرية الأندلسية فيها ألف فندق إلا ثلاثين فندقا[36]. وفي كثرة هذه الفنادق، دليل على العدد الهائل من زوار وقاد هذه المدينة العريقة.

وقد انتشرت هذه الفنادق بصورة واسعة في الأندلس منذ عهد الدولة الأموية، لكن بعضها كان يحيد عن الآداب العامة، فكان الأمراء يسعون في هدمها؛ لما تحدثه من فوضى أخلاقية في المجتمع، ففي عام (206ه) "أمر الحكم بن هشام بهدم الفندق الذي كان بالربض؛ وكان متقبله من أهل الإضرار والفسق؛ فهدم"[37] . ولا شك أن مثل هذه الأفعال الماجنة التي كانت تمت في بعض الفنادق قديما، هي بعينها ما نراه أو نسمع عنه في كثير من فنادقنا الحديثة، ولكن شتان بين الأمرين؛ إذ كان الخلفاء والأمراء يتصدون لهذه المفاسد بكل حزم وقوة، ويأمرون بإنزال أقصى أنواع العقوبة على هذه الفنادق، فيهدمونها، ولكن الأمر بالنسبة لفنادق هذا العصر عكس ذلك بكثير!

وكانت الفنادق في الأندلس عادة ما ثبني في مركز المدينة لتكون بجوار الأسواق، والحمأمات، والمسجد الجامع، ولم تكن تختلف هذه الفنادق عن غيرها من فنادق المدن الإسلامية، فالفندق عموما مبنى كبير يضم طابقين أو أكثر، الطابق الأرضي تعرض فيه السلع والمواد التجارية ويحتوي على مخازن لحفظ السلع المراد بيعها بالجملة، ويخصص الطابق العلوي لمبيت التجار .ويبدو أن الفنادق كانت تسمى بأسماء البضائع والسلع التي تباع فيها كالحبوب والكتان والخضروات والقراميد والتين والخمر، فيقال: خان التين، خان القرميد، أو خان الخمر الذي يذكر أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله افتتح عهده بهدمه. وقد تسمي الفنادق بأسماء أصحابها كفندق زائدة بغرناطة، وفندق السلطان، كما كانت تسمى باسم البلد التي ينتمي إليها التجار الذين ينزلون بها مثل فندق الجنوية والشامية.

ويذكر الإدريسي أنه في المرية على عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1106 1142م) كان بها ما يقرب من تسعمائة وسبعون فندقة، وهذا ما أشار إليه الحميري بقوله: "وفيها ألف فندق إلا ثلاثين فندق " كما اشتهر ربضها

المعروف ب ربض الخوض) بالحمامات والفنادق، وذلك لخدمة التجار الأجانب الوافدين عليها حيث يقول الحميري، وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام. أما قرطبة حاضرة الأندلس فكان فيها ألف وستمائة فندق لسكن التجار والمسافرين.

ومن الفنادق الباقية في الأندلس إلى اليوم خان الفحم في غرناطة Corral del Carbons" بني هذا الفندق في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول في عام 1336م، وكان يسمى الفندق الجديد، يقع الفندق جنوب مدينة غرناطة بجوار سوق الحرير أو القيصرية، وكذلك بجوار مسجد غرناطة الجامع وكان بمثابة نزل للتجار، الأدوار الأرضية كانت تستخدم في تخزين البضاعة و لمبيت الدواب، والأدوار العليا لمبيت التجار، أما اسم خان الفحم الذي اشتهر به فربما لأنه كان قد تسمي باسم المهنة التي يعمل بها التجار الذين كانوا ينزلون به أو لأن السلطات الإسبانية حتى وقت قريب كانت تستخدمه لتخزين الفحم. يتكون الفندق من ثلاث طوابق بالإضافة إلى الباحة الرئيسية .

كما اهتم بعض السلاطين بعمارة كثير من الفنادق، ووقفها للفقراء والمساكين وأبناء السبيل، فقد وافق سلطان المرنيين في المغرب أبو يعقوب يوسف المريني (ت 706ه) بإعادة ترميم فندق الشماعين بمدينة فاس بعدما خرب [38].

وظائف الخانات والفنادق :

أولاً- تعتبر الخانات والفنادق بمثابة بيوت للغرباء

لقد كانت هذه الخانات بمنزلة المأوى الحقيقي الذي أعدته الدولة أو فاعلو الخير للمسافرين، فكانت تحميهم من حر الصيف وبرودة الشتاء، فقد ذكر سعدان بن يزيد وهو من علماء القرن الثالث الهجري - أنه التجأ إلى أحد الخانات في ليلة مطيرة فيها رعد وبرق وذلك في عام (262ه)، فوجد الخان قد شغلت جميع غرفه وأسرته؛ نتيجة البرد الشديد[39] . وكان الغرض من إقامة الخانات في داخل المدن وخارجها كما قلنا لراحة وحماية المسافرين، غير أن بعضها وقفت لإيواء الغرباء والفقراء كالخانات التي بناها الظاهر بيبرس في بيت المقدس، وفي العراق بنى الوالي سليمان باشا خان الحسكة أثناء ولايته على العراق ليكون مأوى للقوافل وأبناء السبيل.

تانيا- المحافظة علي الأمانات والاموال:

وقد كانت بعض هذه الخانات تحتوي على قسم خاص لحفظ الأمانات والأموال، فكانت بمنزلة البنك في عصرنا الحاضر، وكان القائمون عليها من الرجال

والنساء على السواء، ولم يكن يسمح بر الأمانات والأموال إلا لأصحابها دون غيرهم، وهذا ما يذكره ابن الجوزي -رحمه الله- في حوادث عام (571ه)، إذ قال: "إن رجلا من التجار باع متاعا له بألف دينار، وأنزل المال في خان أنبار (في بغداد) وجاء إلى بيته وليس معه في الدار إلا مملوك له أسود قد اشتراه قبل ذلك بأيام، فقام المملوك في الليل فضربه بسكين في فؤاده، وأخذ المفتاح ومضى إلى خان أنبار، فطرق باب الخان، فقالت الخانية: من أنت؟ قال: أنا غلام فلان، قد بعث بي لأخذ له شيئا من الخان. فقالت: والله ما أفتح لك حتى يجيء مولاك. فرجع ليأخذ ما في البيت فاتفق أن حارس الدرب سمع صيحة الرجل وقت أن ضرب بالسكين، فأمسك الغلام، وبقي مولاه في الحياة يومين، فوصى بقتل الغلام بعده، فطلب المملوك بالرحبة بعد موت مولاه"[40].

ثالثاً ـ تقديم وجبات الطعام للنزلاء :

كما تميزت بعض هذه الخانات بوجود المطابخ فيها، وقد حرص أصحاب هذه الخانات على استجلاب أفضل الطباخين إليها مقابل أجور محددة، وكان المطبخ يقم لكل مسافر يأتي إلى الخان سواء كان مسلما أو غير مسلم، حرا أم عبدا، ثلاث أوقيات من الخبز، أي ما يعادل كيلو جراما من الخبز، و250 جراما من اللحمة المطهوة، وطبقا من الطعام، وغير ذلك، فقد ورد في وثيقة وقف خان القره طاي" (في عصر السلاجقة): "أن يصرف إلى كل وارد ونازل ومتطرق بالخان المذكور مسلما كان أو كافرا، ذكرا أو أنثى، حرا كان أو عبدا في كل يوم من الخبز الجيد ثلاث أواق، كل أوقية مائة درهم، وقصعة من الطبيخ، مع أوقية لحم من أي طبيخ طبخ"[41] .

ونلاحظ من نص الوثيقة السابق، أن الحضارة الإسلامية كانت حريصة على تطبيق المساواة سواء في الحقوق أو الواجبات، فلم تفترق في ذلك فيما بين المسلم وغيره، وفيما بين الحر والعبد، وكذلك فيما بين الرجل والمرأة، كما كان المطبخ يقم كل ليلة جمعة حلوى العسل؛ حيث كان يتم توزيعها على جميع المسافرين بصورة متساوية، فقد ورد في وثيقة "قره طاي": "أن يتخذ بالخان المذكور في كل ليلة جمعة من الحلاوة العسلية وفرق على الواردين والنازلين بالخان المذكور من غير امتياز"[42].

رابعاً ـ احتضانها لطلبة العلم والعلماء :

لقد كانت الفنادق والخانات مستعدة دائما لاستقبال طلبة العلم من كل الأنحاء لا سيما البعيدة عن سكني الطلاب حتي يذاكروا فيها دون ضوضاء أو ضجيج أو ما

يحول دون تحصيل العلم عندهم ، فقد ذكر ابن عساكر أن أبا عمرو الصغير قال : نزلنا بعض الخانات بدمشق قرب القصر فصلينا العصر، ونحن على أن تبكر إلى أحمد بن عمير، فإذا الخاني (القائم بأعمال الفندق) آتي يعدو ويقول: أين أبو علي الحافظ؟ فقلت: ها هنا. فقال: قد حضره الشيخ زائرا. فغدوت فإذا الشيخ راكب على بغلة في الخان، فنزل عن البغلة، وصعد الغرفة التي نزلنا فيها، وسلم على أبي علي، ورحب به، وأظهر الفرح بوروده، وأخذ في المذاكرة معه إلى أن قربت العتمة، ثم قال: يا أبا علي جمعت حديث عبد الله بن دينار ؟ فقال أبو علي: نعم. فقال: أخرجه إلي. فأخرجه أبو علي، فأخذه ووضعه في كنيه وقام فركب"[43].

وكان وجود مثل هذه الفنادق عاملا مساعدا لطلبة العلم في الذهاب إلى أي قطر من أقطار الدولة الإسلامية، فقد ذكر الذهبي أن علامة الأندلس بقي بن مخلد - رحمه الله - قد أتى إلى بغداد لتعلم الحديث من الأمام أحمد بن حنبل رحمه الله- وكان تحت الإقامة الجبرية، عقيب خروجه من السجن في محنة خلق القرآن، ولما أيقن من طول مقامه في بغداد أجر غرفة في أحد فنادقها، فكان يذهب إلى الأمام أحمد رحمه الله- كل يوم في هيئة رجل مسكين، فيأخذ منه الحديث والحديثين، فيرجع إلى غرفته في الفندق[44].

والملاحظ هنا أن الفنادق في الحضارة الإسلامية لم تقتصر استخدامها على الطلاب والتجار فقط بل تعداها إلى أبعد من ذلك بكثير ، فلقد استعملها الأمراء والقادة أيضا فقد نزلوها وعلى رأسهم الخلفاء في أوقات سفرهم وترحالهم من منطقة إلي أخري، فوجدنا بعض الخلفاء ينزلون بها في أوقات سفرهم، فقد نزل الخليفة العباسي المعتضد بفندق الحسين قرب مدينة الإسكندرونة ، وذلك في عام 287ه أثناء تفقده لأحوال الثغور والمدن الشامية[45].

خامساً- مساهمتها في زيادة النشاط الاقتصادي :

تعتبر الخانات والفنادق بأنها بمثابة مركز تجاري كبير يلجأ اليها التجار من اجل بيع بضائعهم المختلفة ، وقد انتشرت الخانات على طول الطرق التجارية بين المدن الإسلامية، وكان أكثر وادها من التجار وطلبة العلم، فكانت هذه الدور ثم الضيافة من الطعام والشراب مجانا للفقراء والمساكين وأبناء السبيل، ومن ثم أطلق على الخانات التي ظهرت وكانت تقدم الطعام مجانا في دار الضيافة[46].وكان لانتشار الفنادق في كل المناطق من بلاد العرب دورا كبيرا في النشاط الاقتصادي ، فقد زاد الاهتمام بأنشاء وتنظيم الفنادق حتى شهدت مناطق المغرب العربي لا سيما في مدينة

فاس في عهد الادارسة وجود اعداد كبيرة منها [47]. وازدادت أهمية الفنادق في كونها اصبحت تمتل رافدا اجتماعيا لفعل الخير لأنها بنيت اصلا لتوفير الاقامة للمسافرين والفقراء والطلبة والحجيج، وكدلك توفر الفنادق مداخيل وايرادات مالية تأتي من الايجارات والضرائب، وتمتل هده الايرادات والمداخيل المالية مصدرا غير مباشر لفعل الاحسان والتكافل الاجتماعي، وقد اشار ابن حوقل إلى هدا الترابط الدي كان موجودا بين الفندق وبين الاعمال الخيرية غير المباشرة [48] ، كما طرحت مسالة على قاضي قرطبة ابن رشد تتعلق بوقف يتكون من فندقين على ثغر من تغور المسلمين [49].

الخاتمة:

يتضح من دراسة الفنادق عند العرب المسلمين ان الفنادق لم نظهر بصورة مفاجئة ، بل كانت ثمرة تطور تاريخي بدأ بقيم الضيافة العربية الاصيلة ، تم تطور مع قيام الدولة الأسلمية واتساعها ، حتى أصبحت الفنادق من أبرز المؤسسات العمرانية والاقتصادية في العصور الوسطي . إن وجود مؤسسات الفنادق والخانات منذ فترة مبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، كانت مرتبطة ارتباطا مباشرا بازدهار المدن الإسلامية ومواقعها التجارية ، فقد أسهمت في تسهيل حركة التجار ، وحماية البضائع ، كما عكست مستوى متقدما من التنظيم الاقتصادي والعمراني في الحضارة الإسلامية ، ليدلل كل هدا على أهمية البعد الاجتماعي الذي راعته هذه الحضارة في كل تطبيقاتها المادية والمعنوية، بل وأضافت هذه الحضارة بُعْدًا تكافليًّا آخر لم تعرفه أي حضارة أخرى؛ حيث جعلت كثيرًا من هذه الفنادق والنُّزُل متاحة بصورة مجانية لجميع الأطياف المجتمعية والإنسانية،... ولعمري أن هذه الصورة الباهرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ليؤكد لنا المرة تلو الأخرى عِظَم العطاء ، وقوة البقاء لحضارتنا الزاهرة في كل العصور والأزمنة .

نتائج البحث :

1- عرفت الحضارة الإسلامية نظام الفنادق والخانات منذ أيام الإسلام الأولى، مما يؤكد على رقي المدنية في ديار الإسلام .
2- انتشرت الخانات على طول الطرق التجارية بين المدن الإسلامية، وكان أكثر روادها من التجار وطلبة العلم .

3- كانت هذه الخانات والفنادق بمنزلة المأوى الحقيقي للمسافرين، فكانت تحميهم من حر الصيف وبرودة الشتاء .
4- ان الفنادق كانت جزءا من شبكة اقتصادية وادارية متكاملة وليست أماكن للمبيت فقط .
5- ان تطور الفنادق ارتبط بازدهار المدن الإسلامية ونمو التجارة الدولية .
6- ان المصادر الجغرافية والرحلات تظهر اختلاف وظائف الفنادق بين المشرق والمغرب الإسلامي.

التوصيات :

1- بالرغم من قلة المعلومات حول انتشار الخانات والفنادق في العالم العربي والإسلامي ، فالموضوع جد شيق ويحتاج إلى مزيد من البحث .
2- تشجيع الدراسات التاريخية التي تبحث في بقايا الفنادق التاريخية للكشف عن خصائصها المعمارية .
3- ضرورة اجراء دراسات متخصصة حول مؤسسات الايواء الإسلامية كل نوع على حدة .
4- توظيف الدراسات التاريخية في فهم تطور مؤسسات الضيافة الحديثة وجدورها الحضارية .

بيان تضارب المصالـــح:
يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورق

الهوامش :

(1) القران كريم ، سورة النور، الآية 29.
(2) تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القران ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(224-310) تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، ص 324
(2) المقريزي ، تقى الدين ، المواعظ والاعتبار بدكر الخطط والأثار ،القاهرة: مكتبة التفافة العربية **ص 92.**
[3] أوليفيا كونستابل ريمي، اسكان الغريب في العالم المتوسطي، تعريب محمد الطاهر المنصوري،ط1،درا المدار الإسلامي،بيروت،2013،ص41

[4] أبن منظور، عبدالله محمد بن المكرم بن أبي الحسن الانصاري : لسان العرب ، تح عبدالله الكبير وأخرين ،دار المعارف ، د. ت ،مج5 ،ج23،ص347 .

(5)، المقدسي محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق غازي طليمات، سوريا، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1980م،ج1،ص194

(6) الحميري ، محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة لبنان ، دار صابغ ،1944، ص 214.

(7) ادم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة :محمد عبدا الهادي أبو ريدة، ط5 ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،د.ت، ج1، ص34.

(8)المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي شهاب الدين محمد، تحقيق مفيد محمد قميحة ، لبنان، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط2 ،1986، ص267.

(9) المعجم، مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ص 246.

(10) الدر الموصوف في تاريخ الشوف ، حنانيا المنير ، دار صادر، بيروت 1954، ص 51

(11) معجم البلدان، الحموي ياقوت بن عبدالله ، لبنان، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ج4، ص268.

(12) ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ هـ - ٥٧١، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، م 2 ص320.

(13) سمير قصير ، تاريخ بيروت، دار النهار : بيروت لبنان ،2009 ، ص 177.

(14) حسن حلاق ، بيروت المحروسة في العهد العتماني ، مطبعة جامعة بيروت ، 1987 ص95.

(15) ابن منظور، مصدر سابق، ج13، ص360

(16)تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي عبدالرحمن بن حسن ،لبنان، بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ ج1، ص287.

(17) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، مصدر سابق ،م2، ص 320.

(18) ول ديورانت: قصة الحضارة ، د. زكي نجيب محمود. مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر. القاهرة. 1968، ج 98 ، ص494 .

(19) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر ، المنتظم 39/5.

(20) زيود محمد أحمد ، مختارات في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية ، دمشق ،2009، ص182

(21) أبن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري. تحقق: أبو صهيب الكرمي. مصدر سابق ، ص 232.

(22)الخطيب البغدادي، : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) ، تاريخ بغداد، المحقق : بشار عواد معروف الناشر : دار الغرب الإسلامي الطبعة : الأولى سنة الطبع : 1422،ج 1، ص 102

(23) ابن العماد، عبد الحي بن احمد. ٧٠٠ - ٢٠١ 5 شَذَرَاتُ الذَّهَبْ في أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبْ ،ج 4 ،ص319

(24) المصدر نفسه ، ج4 ، ص319

(25) ول ديورانت ، قصة الحضارة ،ج24، ص498

(26) المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، كتاب السلوك لمعرفة الدول والملوك ،ج5،ص 236.

(27) المقريزي، السلوك ،مصدر سابق،ج5، ص114

(28)الذهبي شمس الدين محمد بن محمد بن احمد ابن عثمان الذهبي ، تحقيق: حسين أسد،ج6،1 : سير أعلام النبلاء ، ج 293/13.

(29) المصدر نفسه ج13، ص294

(30) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة ، ج3،ص525. وانظر ايضا صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، القلقشندي،ج5، ص151 .

(31) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي عبدالرحمن بن حسن ،لبنان، بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ ج1، ص287.

(32) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، القنوجي صديق بن حسن، تحقيق عبد الجبار زكار، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1978،ج2 ،ص257.

(33) نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،ص،127.

(34) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

(35)الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله (وليس عبد الرحمن) بن إدريس بن يحيى بن علي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولي 1049، م 1 ، ص128.

(36)الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، مصدر سلبق ، ص64.

(37) المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج2، ص 156.

(38) المقري ، نفح الطيب ، مصدر سابق ،ج5 ، ص 265

(39) ابن الجوزي ،المنتظم مصدر سابق ، ج5 ص39.

(40) ابن الجوزي ، المنتظم مصدر سابق ، ج10، ص 265

(41) فهيم فتحي إبراهيم: الخان في الحضارة العربية الإسلامية على الرابط:
http://www.arabicmagazine.com/ArtDetails.aspx?id/56
(42)انظر نص وثيقة خان قره طاي عن:
Turan (Osman) , Celâleddin Karatay, Vkiflari ve Vakfiyeleri, Belleten, Cilt: XII, Sayi: 45, 46, 47, 48, Türk Tarih Kurumu Basimevi, Ankara, 1948, p. 95- 96.
(43)ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ودكر فضلها وتسمية من حلها من الأمائل أو اجتاز بنواحيها من واردیها واهلها ، 115/5.
(44)الذهبي شمس الدين محمد بن محمد بن احمد ابن عثمان الذهبي ، تحقيق: حسين أسد،ج6،1 : سير أعلام النبلاء 293/13.
(45) ابن كثير: البداية والنهاية 5، مصدر سابق ، ج13، ص186.
(46) المصدر نفسه، نفس الصفحة .
(47) ابن القاضي المكناسي: جدوة المقتبس في دكر من حل من الاعلام من مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والورق، الرباط، 1973 ،ج1،ص43.
(48) ابن حوقل ، صورة الارض ،مصدر سابق،ص184.
(49) الونشريسي ، أبو العباس احمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتأوي اهل افريقيا والاندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي ، وزارة الأوقاف المغربية، الرباط ،دار الغرب الإسلامي ،ج7، ص 466.